

التفكر في الكون وأثره في ترسيخ الإيمان (آيات الأنفس والأفاق)

مدخل تهميدي:

إن التفكير في عظمة الخالق وقدرته وعجائب خلقه وخضوع المخلوقات له يدل على استحقيقه تعالى للعبادة وحده، ويزيد المسلم إيمانا ومعرفة بربه وخوفا ومحبة وتعظيما له.

✚ فما حقيقة التفكير؟

✚ وما السبيل إلى الوصول به إلى هذه الحقيقة؟

✚ وما هي مجالاته؟

✚ وكيف يساهم في تقوية الإيمان؟ .

الذللوص المؤطرة للدرس:

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: 146]

قَالَ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: «مَا طَالَتْ فِكْرَةُ امْرِئٍ قَطُّ إِلَّا فَهِمَ، وَلَا فَهِمَ امْرُؤٌ قَطُّ إِلَّا عَمِلَ، وَلَا عَمِلَ امْرُؤٌ قَطُّ إِلَّا عَمِلَ».

[الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم]

دراسة الذللوص وقراءتها:

I - عرض الذللوص وقراءتها:

1 - الوقوف على قاعدة من قواعد التجويد (التفخيم):

التفخيم: هو ستمن يطرأ على الحرف فيمتلئ الفم بلذاه، وتفخم الراء في عدة مواضع، منها: إذا كانت مفتوحة أو مضمومة ولم يسبقها كسر

أصلي ولا ياء ساكنة قبلها كسر، مثل: يَرَوْا، يَتَكَبَّرُونَ.

II - توثيق الذللوص والتعريف بها:

1 - التعريف بسورة الأعراف:

سورة الأعراف: مكية ما عدا الآيات من 163 إلى 170 فهي مدنية، عدد آياتها 206 آية، وهي السورة السابعة في ترتيب المالحف

الشريف، سميت بهذا الاسم لورود ذكر اسم الأعراف فيها، وهو سور مضروب بين الجنة والنار يحول بين أهلها، وهي أول سورة عرضت للتفضيل في

قاص الأنبياء، ومهمتها كمهمة السورة المكية تقرير أصول الدعوة الإسلامية من توحيد الله جل وعلا، وتقرير البعث والجزاء، وتقرير الوحي والرسالة.

III - فهم الذللوص:

1 - مدلولات الألفاظ والعبارات:

○ سأصرف: سأمنع وأحول دون فعل شيء.

○ سبيل الرشd: طريق الهدى والفلاح.

○ سبيل الغي: طريق الضلال والفساد.



2 - المضامين الأساسية للـلوص:

- عقاب الله للمتكبرين اللادين عن سبيله بمنعه لهم من فهم آياته والتفكر فيها.
- العمل ثمرة من ثمرات التفكير.

3 - المضمون الجامع:

- التفكير في آيات الله عز وجل، وعدم اللد عن سبيله يورث العمل بأحكام الشرع.

تحليل محاور الدرس ومناقشتها:

I - التفكير: حدوده وفوائده:

1 - مفهوم التفكير أهميته:

أ - مفهوم التفكير:

التفكر: لغة: : التفكير مـلدر تفكر، وهو يدل على تردد القلب في الشيء، واصطلاحا: التدبر والاعتبار والتعمق والتركيز الموصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى.

ب - أهمية التفكير:

لقد دعا الله سبحانه عباده المؤمنين إلى النظر والتفكر والتأمل في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء، وحثهم على المداومة عليه، وقد فعله الأنبياء كلهم، وواظب عليها سيدنا محمد ﷺ، فكانت حياته كلها كذلك حتى قبل بعثته ﷺ، وهذا التفكير يثمر للباحبه المحبة والمعرفة ويورث الجد والاجتهاد والعمل الدؤوب والحرص على اغتنام الوقت.

2 - حدود التفكير:

لما دعا الله سبحانه إلى التفكير بين المجالات التي يجب التفكير فيها، والتي يحرم التفكير فيها، قال النبي ﷺ: «تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللَّهِ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ». وذلك لأن التفكير في نعم الله يؤدي إلى معرفة الله ومحبته، أما التفكير في ذاته فهو فوق الطاقة والعقل البشري، وكل ما تـلوره العقل فالله خلافه.

3 - شروط مساعدة على التفكير:

لإعمال الفكر في مجاله لابد من تحويله إلى نظرة عبادة التي تحملنا من الظاهر المشهود إلى الباطن الخفي، لقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾، ولبلوغ هذه المنزلة لابد من توفر مجموعة من الشروط، منها:

- ✓ التقوى وترك فضول النظر والقول.
- ✓ المداومة على تدبر القرآن الكريم.
- ✓ المداومة على الاعتبار وتذكر نوازل الآخرة.
- ✓ المداومة على إعمال العقل والتأمل.
- ✓ طلب العلم وإعمال النظر فيه وتعليمه للناس.

4 - فوائد التفكير:

- ✓ الاتـلالم الدائم بالله تعالى: لأن التفكير عبادة لله تعالى والمداومة عليها تورث الخشية والخشوع، فعن طريقه يستطيع أن يغذي إيمانه.
- ✓ تكثير العلم وترسيخ الإيمان: من ثمار التفكير العلم، وبحلول العلم في القلب يتغير حاله، وإذا تغير حاله تغيرت أعمال الجوارح من الحسن إلى الأحسن، وبذلك يرسخ الإيمان.
- ✓ مخافة الله ومحبته: إذا استحضرت المتفكر عظمة الله سبحانه، وأن الله معه في كل أحواله كان ذلك رادعا له من السقوط في المعاصي.

كما أن التفكير في نعم المنعم يؤدي إلى محبته، لأن النفس مجبولة على حب من أحسن إليها، قال رسول الله ﷺ: «أَجِبُوا اللَّهَ لِمَا يَغْدُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّوا لِحُبِّ اللَّهِ، وَأَجِبُوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي».

II - التفكير منبع الإيمان ومنار الأعمال:

1 - أقسام التفكير:

أنفع أنواعه أربعة أقسام:

✓ التفكير في صفات الله تعالى وأفعاله لا في ذاته: فالتفكير في ذاته سبحانه وكيفيةها لا يؤدي إلى نتيجة أو علم، والعقل البشري عاجز عن معرفة كنه بعض مخلوقات الله كالروح مثلا فكيف بالخالق سبحانه.

✓ التفكير في القرآن الكريم: من خلال ملازمة تلاوته والتدبر والتفكير في معانيه ليفتح القلب ويزداد الإيمان، وتقوى الأمة به سبحانه وتعالى.

✓ التفكير في أمور الآخرة: وخلودها وشرفها مقابل الدنيا الدنيئة، والمسلم كلما ازداد علما بتفاصيل اليوم الآخر وما يحدث فيه، إلا ازداد إيمانا وصالحا وفعلا للخيرات.

✓ التفكير في الموجودات: فالكون كتاب مفتوح يورث التفكير فيه اليقين بعظمة خالقه سبحانه وتعالى والاتكال الدائم به، مما يثمر إيمانا واستقامة وعملا.

2 - نماذج للتفكير في الأنفس والآفاق:

✓ التفكير في الآفاق (آيات الله في السماوات و الأرض): قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾، ففي الكون من الآيات الناطقة بعظمة الخالق سبحانه وتعالى ما لا يعد ولا يحصى، كالتفكير في الأرض وما جعل الله فيها من أسباب الحياة للإنسان، ومنها لفت النظر إلى بعض المخلوقات.

✓ التفكير في آيات الأنفس (خلق الإنسان في ضوء الكتاب والسنة): قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾، في الآية دعوة إلى التفكير في شأن الأنفس قياسا على خلق السماوات والأرض وما بينهما والتي خلقت بالحق وأجل مسمى؛ أي كذلك شأن الأنفس؛ فقد خلقت بالحق ولأجل مسمى، ومن ثم فلا بد من أن تنتهي الحياة بانتهاء الأجل، ولا بد من العودة إلى الله.